Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لم يحرك من الخليفة عزماً ، ولا نبه منه همة ، ولا أحدث عنده هما .

والحق أن المستعصم كان رجلا مسالماً ، غمرا ، خفيف الوطأة بعيد المستفز . . . بطىء التحرك . . . لا يستفزه نبأ ، ولا يستخفه خبر . . . وقد بلغ من غفلته عن أحوال مملكته أن المؤرخ صاحب كتاب « الفخرى » قال فيه : إنه كان قليل الخبرة بأمور المملكة ، مطموعاً فيه ، غير مهيب فى النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور . . .

لقد كانت عساكر المغول تزحف من قلب آسيا متجهة نحو الغرب كأنها ذرات من الرمل لا عدد لها . . . وكانت رسل هولاكو وعيونه يدخلون الممالك الإسلامية يستطلعون أحوالها ، ويتجسسون عليها ، ويسبرون أغوارها . وكان عيون المغول يدخلون البلاد على هيئة التجار ، حتى لا يشك فيهم أحد فيطلعون سلطان المغول على أحوال البلاد أولا بأول . . . فإذا جاء الخليفة العباسى نبأ بتقدم المغول مال إلى عدم تصديقه ، وأعرض عنه جانباً ، لأنه كان متشاغلا — فوق ضعفه وفسولة رأيه — بسماع الأغانى ورؤية المساخر والمضاحك التى تدخل السرور إلى قلبه .